

التعريب بين البعد الحضاري وضرورة الأمن اللغوي

The Arabization between the Civilizational Dimension and the Necessity of Linguistic Security

أ.د. نجيدة ولهاصي

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)
مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية
في المنظومة التربوية الجزائرية

nadjida.oulhaci@yahoo.fr

عبد الرحمن غربي*

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)
مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في
المنظومة التربوية الجزائرية

abderrahmane.gharbi@univ-sba.dz

تاريخ القبول: 2024/12/06

تاريخ الاستلام: 2024/10/04

ملخص:

سنعرض في هذه الورقة البحثية إلى جدوى عملية التعريب باعتبارها عملية حيوية تعكس البعد الحضاري للأمة العربية وتساهم في الحفاظ على هويتها الثقافية المكتسبة منذ قرون قديمة، فالتعريب - كعملية حضارية - لم يكن أبدا مجرد نقل مصطلحات وألفاظ من لغات أخرى وصبغها بصبغة عربية فقط، بل يعدّ مهمة وسيلة لنقل المعرفة، وتحسين اللغة العربية من خلال تفعيل دورها في الجانب العلمي، مع الحفاظ على سلامتها ومراعاة كينونتها، وخصائصها الفونولوجية والنحوية، والدلالية، كما يساهم أيضا بشكل مباشر في تطوير حركية العلوم والفنون من خلال تفعيل البرامج الترجمة والإبداعية. ومع تزايد العولمة وانتشار اللغات الأجنبية - خاصة الإنجليزية منها والفرنسية بدرجة أقل - يبرز التحدي الجديد المتمثل في ضرورة الحفاظ على الأمن اللغوي العربي لدى الناشئة في عالمنا العربي، الذي نعني به الحفاظ على وجود اللغة العربية استعمالا وإبداعا والحفاظ عليها من التآكل أو الانقراض والانصهار في اللغات الوافدة وتأمين الهوية الثقافية وضمان استمرارية اللغة في مواجهة التحديات المعاصرة مما يمكننا من تحقيق توازن بين الانفتاح على الثقافات الأخرى والحفاظ على الأصالة الثقافية.

الكلمات المفتاحية: التعريب، البعد الحضاري، الأمن اللغوي، الترجمة، العولمة اللغوية

Abstract:

This paper discusses the feasibility of Arabization as a vital process that reflects the cultural identity of the Arab world and contributes to preserving its long-standing heritage. Arabization goes beyond merely adapting foreign terms into Arabic; it serves as a means of transferring knowledge and strengthening the language's scientific role while maintaining its phonological, grammatical, and semantic integrity. Additionally, it fosters the development of sciences and arts through translation and creative programs. In the face of increasing

* - عبد الرحمن غربي.

globalization, particularly the spread of English and French, the challenge lies in safeguarding the linguistic security of Arabic for future generations, ensuring its continued use and creativity without losing its identity to foreign influences.

Keywords: Arabization, Civilizational Dimension, Linguistic Security, Translation, Globalization

. مقدمة:

عُني بالتعريب في عرف العرب قديماً تصيير الكلمة الأعجمية عربيةً من خلال إحداث تغييرات صوتية في فونيمات بعض الكلمات لتوافق حروفهم وتصير على نهج كلامهم، فنزل عنها وحشتها وغرابتها الأعجمية، ثم تطور الأمر في عصور لاحقة مع الأمويين والعباسيين على وجه الخصوص، فانتقل مدلول لفظ التعريب إلى نقل العلوم من اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية، أما في وقتنا الحاضر فقد أخذ اللفظ مفهوماً أشمل وأوسع مما سبق، فأصبح التعريب يطلق على عملية إحلال اللغة العربية محل الأجنبية في التعليم والإدارة، وربما حافظ على بعض معناه القديم فاستعمل على عملية نقل المصطلحات التكنولوجية الحديثة الطارئة إلى العربية، غير أنّ دواعي التعريب اليوم أصبحت تتعدى كونه مجرد ترجمة عادية لنقل المعرفة والعلوم، بل أضحت ضرورة حضارية بغرض الحفاظ على اللغة العربية من الاندثار، وفي ذلك ضمان للأمن اللغوي للأجيال العربية، ومن وراء ذلك تحقيق هدف الحفاظ على مكونات الهوية الثقافية العربية الأصيلة للأمة العربية.

فهل تحققت الأهداف الحضارية المنشودة من وراء عملية التعريب في الوطن العربي؟ وماهي أبرز النتائج المرجوة من وراء عملية التعريب الشاملة؟

1. في مفهوم التعريب

التعريب عند المعجميين مشتق من الفعل عَرَّبَ، يُقال عَرَّبَ الأعجميَّ يعرِّبه تعريباً، أي أدخله في كلام العرب وجعله سارياً مسرراً كلامهم، قال الجوهري (ت393هـ) "وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عَرَّبَته العرب وأعرَّبته أيضاً"¹ ومنهجها هي: سبلها في الكلام وطرائق تلفظها بالكلم وقوفاً على حدود أصوات العربية التسعة والعشرين التي بنيت عليها الأبجدية العربية دون زيادة فيها ما ليس منها.

قال سيبويه (ت180هـ) في بيان المعرب في كلام العرب: "اعلم أنهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجميّة ما ليس من حروفهم البتّة، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم، وربّما لم يلحقوه، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم... وربّما غيروا حاله عن حاله في الأعجميّة مع إلحاقهم بالعربيّة غير الحروف العربيّة فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيّاً غيره، وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنّه أعجميّ الأصل فلا تبلغ قوّته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم... وربّما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن"²، فلما كان اللفظ الأعجمي قليلاً في العربية احتيج إلى بيانه وبيان طرائق إلحاقه بالعربية حتى لا يعدّ من صريح كلامهم، حفاظاً على العربية، أمّا في الزمن الحاضر، فقد حدث للفظ التعريب انتقال دلاليّ بتوالي الأزمنة والعصور واختلاف الحاجات التي استدعت ظهور اللفظ، فأصبحنا نعني اليوم بالتعريب تلك العملية التي نقول من خلالها بتحويل نصوص أو مفاهيم من لغات أخرى إلى اللغة العربية،

وتشمل ترجمة الكلمات والعبارات وتكييفها لتناسب السياق الثقافي والاجتماعي العربي، أو جعل اللغة العربية هي اللغة السائدة في التعليم والإدارة، والإعلام والمراسلات ومن جهة أخرى تطوير مصطلحات جديدة وابتكار أساليب لغوية تواكب التقدم المعرفي والتكنولوجي، مما يعزز من قدرة اللغة العربية على التعبير عن مفاهيم العصر الحديث والمساهمة في الحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية.

2. التعريب وأبعاده الحضارية

يعدّ البعد الحضاري للغة أهمّ رافد من روافد بناء الشخصية القومية وعالمها مهما في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والشعوب، ومن المؤكد أنّه لم يحدث لأية أمة في التاريخ أن أبدعت واخترعت وشيدت حضارة راقية بغير لغتها القومية، وفي مناخ ثقافتها الأصلية³ فاللغة القومية هي الركيزة التي تبنى عليها أسس الحضارة وهذا عرف متداول منذ الأزل إلى اليوم، وقد اهتمّ العرب الأوائل بهذا العرف الحضاريّ فاتجهوا رأساً صوب أكبر عملية تعريب عرفتھا الثقافة العربية وذلك إبان الحكم العباسي، وهو الامر الذي مكنهم من إحداث وثبة حضارية عظيمة نقلتهم من البداوة إلى المدنيّة من خلال الاستفادة من تراث الأمم المجاورة الفرس والروم واليونان والهند وغيرهم، وسار الخلفاء في درب التعريب مدة من الزمن حتى قضوا منه وطرا مع اشتداد العود وزوال الأمت، واستحكام الأمر ووضوح السمات، فالتجّمت العقول حينئذ إلى الابداع والابتكار والتأصيل للمفاهيم الجديدة وزيادة الفائدة في العلوم الجامدة التي توقفت الاجتهاد فيها دهرا طويلا، فأبدعت القرائح قوانين متجددة بسبب تلاقي الأفكار وانتقال المعارف فقد توافرت أساسات الإقلاع الحضاريّ، فأنجبت لنا عبقرية عربيّة فذة استفادت منها كلّ الأمم المجاورة لها في دورة حضارية عالمية وسنّة كونية تفرض انتقال المعرفة وتداول الحضارات وتداول السيطرة السيادة معها من شعب إلى شعب ومن أمم إلى أمم أخرى وكذلك الأيام دول بين الناس.

وتأسيسا على ما سبق نقول إنّ عملية التعريب المطلوبة اليوم ليست بدعا من الأمر أو اختراعا غير معهود، فلنا في الأسلاف مثل، ولا عيب في إعادة استنساخ تجربتهم الحضارية وانتهاج نهجهم في محاولة رأب الصدع الذي يزداد اتساعا ومحاولة درك الركب الحضاري الذي يسير بسرعة رهيبية مادام الأمر ممكنا "وعليه فلا يمكن في الوقت الحاضر للأمة العربيّة أن تسترجع أصالتها وتستعيد زمام المبادرة والاختراع والسير قدما في ميدان التقدم التكنولوجيّ إلا بالتعريب الكامل والترجمة العلمية للوصول باللغة العربية إلى مستوى التعبير عن كلّ المجالات الحضارية التي يعرفها عصرنا وتواكب التطورات التي ستعرفها العصور القادمة"⁴ حتى لا تظلّ عالمة على غيرها من الأمم وتنتهج مبدأ المبادرة وروح الاختراع العصرية.

من أكبر المغالطات المنتشرة في أوساط الناس اليوم هي أنّ لغة البحث والعلوم اليوم هي الإنجليزية أو الفرنسية دون سواهما، وصار تعلّمها وتعليمها لأبنائنا فرض عين، فنشأ جيل من أبناء العربية اليوم يولّي وجهه صوب تعلّم الإنجليزية بدرجة أكبر والفرنسية بدرجة أقل، وإهمال غيرها من اللغات ومن ضمن هذا المهمل اللغة الأمّ اللغة العربية، ومن نتائج تعليم هذه اللغات الأجنبية للناشئة منذ نعومة الأظفار أنّها أضحت لغة التفكير عندهم ولغة التواصل ولغة التعبير، ولا يستطيع الواحد منهم الخروج من فوقة اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي حوَصر بها منذ صباه، فقد تمكنت منه وتركبت في نفسه مع ذلك التعليم بها عقدة لا شعورية توجهه صوب ازدياد لغته الأمّ التي لا يرى فيها وسيلة للتعبير عما يخالجه بسبب ضعفه فيها، وقد نتج عن هذا التوجه تياران تيار إنجليزي في المشرق وتيار فرنسي في المغرب، وماكان ذلك إلا نتيجة لهذا الوهم الذي سوقته أطراف فاعلة تسعى لوأد العربية واستبدال الأعجميات بها، وترسيخ عقدة النقص في أذهان الناشئة تجاه الهوية عموما واللغة العربية التي هي من أهم مكوناتها، ففي دول الخليج مثلا نجد المدارس الخاصة تنتهج المنهج

البريطاني والأمريكي وتركز على تدريس المواد والمقررات باللغة الإنجليزية وإيلائها الأهمية القصوى وتحث الخطى لأجل ذلك وتسعى لتوظيف أساتذة من الناطقين الأصليين بالإنجليزية حتى يتم تعليم الأطفال من طرفهم ولا يعودونهم على خلط العربية بالإنجليزية في تعليمها، أما المواد العربية والإسلامية فهو بمثابة مناهج إضافية تسند لأي كان دون كبير معاناة ومتابعة إذا ما قورنت بمتابعة غيرها من المواد الإنجليزية، وكذلك الشأن في المدارس الخاصة الفرنسية في دول المغرب العربي التي تغرد خارج سرب المنظومات الدراسية المحلية وتنتهج لنفسها مقررات خاصة بعيدا عن أعين المراقبة يعرضها في ذلك إقبال أولياء التلاميذ عليها وتنصلهم من مسؤولية السؤال عن المناهج والمقررات، بل شغلهم الشاغل هو شهادة من هذه المدارس تمكنهم من ولوج الجامعات الفرنسية دون كبير إجراءات، وتمكن أبنائهم من اللغة الفرنسية دون إيلاء كبير منهم للخطر المحدق الذي يترص بأبنائهم على المستوى المتوسط والبعيد، يهددهم بالانسلاخ من ثقافة أمتهم وصبغهم بثقافة أجنبية بعيدة عن تعاليم دينهم وعادات مجتمعاتهم.

إن الحضارة الإنسانية أبدا ما بنيت في أي قطر من أقطار الدنيا إلا بسواعد أبناء الوطن، وبلغة الوطن لأنها الوشيحة التي تربط بين أبناء المجتمع الواحد وهي العرف السائد بينهم والرابط الذي يولف شملهم ويجمع كلمتهم على ثقافة موحدة وهوية جامعة، بل إن عامل اللغة مهم جدا في نبذ الخصومات وطرح العصبية ودحر عوامل التششت والفرقة، فمتى كانت اللغة الأم الموحدة هي السائدة ساد التفاهم والوفاق، ومتى تششت الألسن ونأت كل فرقة بلسانها ازدادت الهوة واختلفت وجهات النظر وكان الخلاف أقرب من الوفاق، وكان ذلك إيذانا بحدوث بالفرقة والخصام.

لقد كانت الحجة السوق بما النافذون في فرض اللغات الأجنبية كمادة للتدريس في التعليم العالي عي أن الهدف من جعل التعليم والطب والهندسة باللغات الأجنبية إنما هو هدف حضاري حدائي يخدم مصالح الأمة، والهدف الأسمى من وراء ذلك هو تطوير التعليم واستيراد الحضارة وترقية المجالات التقنية من خلال سهولة التواصل مع العالم الخارجي بلغته السائدة اليوم، وأنا سنظل متخلفين عن ركب الحضارة إذا نحن تمسكنا بلغتنا الوطنية وهويتنا الثقافية وخصوصياتها الإسلامية والخطأ ها هنا فاحش بين، ولنضرب المثال بما عايشته اليابان وكوريا والصين، وغيرها هل هي دول تخلت عن التدريس بلغاتها الأصلية بحجة التطور وتحقيق النهضة الشاملة ؟

إن الأزمة اللغوية في وطننا العربي مفتعلة يذكي نارها جملة من المسلوبين فكريا، ممن ينادون بضرورة التخلي عن التعريب والسير في طريق التعريب بزعم مواكبة الحضارة واستيراد التقدم، "وإن من أكبر الأخطاء أن نعتقد أنه يمكن استيراد الحضارة من الخارج بلغاتها الأصلية، ونغرسها في تربتنا العربية، فالتكنولوجيا ليست إلا الجانب الاستهلاكي من الحضارة، أما الجانب الخلاق فهو العقل الذي أنتج تلك التكنولوجيا، فذلك فإن العلم هو الذي يجب أن يوجد في الواقع العربي، هو لا يوجد إلا بعملية التعريب التي تمكن اللغة العربية من الازدهار ومواكبة التطور الحضاري"⁵ ولأجل هذه الحقيقة فإن التعريب الذي يسعى إليه الغيورون على اللغة العربية والفاعلون في الأوساط اللغوية هو السبيل للوصول إلى المعرفة الإنسانية ونقلها وبثها في أوساط الناشئة ليعملوا فكرهم فيها فهي معرفة متاحة أمامهم بلسان قومهم وبلغتهم التي رُبو عليها وارتضعوا أفوايقها صبيانا وهي لسان حديثهم في البيت والشارع والمدرسة والمسجد وكل زاوية من زوايا بلدانهم، فهي إذن لا تصعب على فهمهم، وليس لهم إلا أن يدلوا بدلوهم في ركب الإنسانية العالمي، فإن العلم لا يمكن أن نبغ منه الغاية التي نرجو إذا لم ينقل كلية باللغة العربية لأبناء العربية، لأن ذلك من دواعي تنمية الفكر، وشحن ملكة الإبداع، وإيقاد جذوة الاختراع، يقول أحمد طالب الإبراهيمي: "إن الأساس العلمي الذي انتهت إليه الدراسات العلمية والنفسية

واللغويّة أثبتت أن العلم لا يمكن أن يُفهم وأن ينتشر إلا في نطاق اللغة الأصليّة... والعلماء الكبار وحدهم هم الذين يحتاجون إلى اللغة الأجنبية لإنهاء بحوثهم ودراساتهم، أمّا الذين دونهم فلا يدركون المعرفة العلميّة إلا بلغتهم الأصليّة⁶. فهي أقرب إلى فهمهم وأيسر ولا تحتاج إلى واسطة لتيسيرها ولا ترجمان لتوضيحها.

إذن مادمنّا نعرف مكنم العطب، فالواجب شحذ المم لدفع عجلة التعريب والمضي قدما فيه، لأن هذه العربيّة هي الحبل الواصل بين أقطارنا العربيّة الشاسعة من المحيط إلى الخليج "وهي الرحم الواصلة بيننا، وهي اللحمة الجامعة لخصائصنا وآدابنا، فمن بعض حقها علينا أن نبلها ببلالها، وأن نخف لنجدتها كلما مسّها ضرٌّ أو حزبا أمر⁷، ولم بمسّها ضر وخطب هو أعظم مما مسّها اليوم وهي تعاني نكران أهلها وعقوق أبنائها.

ولأجل ذلك لم يعد التعريب ضرورة مؤقتة تستدعيه ظروف زمانية محدّدة، وعوارض ماضية، بل أصبح يجد ضرورة حضارية ملحّة، تناط به مسؤوليّة النهوض الفكري والحضاري للأمة، فهو السبيل _ شئنا أم أئينا _ إلى توحيد الصفوف ولمّ الشعث وتقريب الجهود لتحقيق القفزة العلميّة التي نصبو إليها ونرجوها، فالتعريب لا يعدو أن يكون توحيدا في الجانب الثقافي اللغوي فقط، بل يتعدى ذلك إلى الجوانب العلميّة والحضارية والتكنولوجية، يقول قاسم عثمان نور: "وإذا كنّا نرى في التعريب في المعنى المباشر معنى سيادة اللغة العربيّة على ساحة الوطن العربي ما يوحد المشاعر العربيّة ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها عاملا جوهريا في تحقيق الوحدة، فإن التعريب في معناه الأكثر شمولاً هو الذي يعطي لهذه الوحدة مضمونها الحضاريّ المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من التبعيات الثقافية"⁸ فالتعريب الذي نصبو إليه ليس مجرد ترجمة المناهج الدراسية من اللغات الأجنبية وتعليمها لأبنائنا باللغة العربيّة أو تحويل لغة المراسلات والقوانين والتشريعات في الدوائر الحكوميّة والوزاريّة من اللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة إلى العربيّة، بل إن التعريب الذي نهدف إليه هو نقلة نوعية علمية حضارية تربطنا بتاريخنا وثقافتنا ولغتنا وعراقتنا وتنقلنا إلى مستقبل نتحكم فيه بوسائل التكنولوجيا وأدوات التصنيع ونكون على قدم واحد مع جميع الأمم المتطورة إن التعريب الذي نسعى إليه "لا يحول بيننا وبين المعاصرة كما يقول بعض النّاس، لأنّ المعاصرة إذا كانت تعني أن نعيش عصرنا ونستشّق في جوه المتطور، فليست تعني أبدا تنكرا للماضي وبراءة منه، إنّها الشباب المتجدد للحياة... فالتعريب يجمع بين الأصالة والمعاصرة بهذا المعنى، لأنّه من ناحية يغذي روح الأصال والانتماء ولأنّه من ناحية ثانية يُلحق لغتنا وأمتنا بالعصر الذي نعيش"⁹.

إنّ اللغة هي أقوى مرتكزات الهوية الثقافيّة للأمة وقد أدركت الدول الكبرى هذه الحقيقة واستيقنتها أنفسهم، فأجل ذلك ترى كلّ بلد يسعى جاهدا ليحافظ على هويته وحماية خصوصيته وتاريخه من خلال فرض اللغة المحليّة في التعليم، ففي كلّ الدول المتطورة لا تجد لغة تزاخم اللغة الوطنيّة في التدريس ففرنسا لا تقبل الإنجليزيّة ضرة لها في مدارسها، والألمان أشدّ النّاس تعصبا للغتهم رغم صعوبتها وقلة انتشارها في العالم، واليابان انغلقت على لغتهم المحدودة الانتشار، ورغم ذلك أمهروا العالم بجودة تصنيعهم، وهاهو العملاق النائم استيقظ وهو محافظ على لغته ويحاول نشرها من خلال قوته الاقتصاديّة، وأمّا إسبانيا فإنّها لا ترضى بغير الإسبانيّة وتسعى للحفاظ عليها في مستعمراتها اللاتينية، وحتى أيسلندا تلك الجزيرة الفايكنغية المجهريّة تترجم في العام عشرات الآلاف من الكتب في كلّ المجالات لتغني شعبها عن التوجه صوب لغات غير اللغة المحليّة، وبالتالي فهي تعمل من أجل الحفاظ عليها ودعمها لأنّها تمثل العصب الرئيس المحرك للمكون الهوياتي. إنّ المنطق السليم يقول إنّ التعلّم باللغة الأم يجعل من عملية التربيّة والتعليم أداة فعالة لبناء الحضارة من

خلال خلق جيل مستمسك بلغته وهويته وثقافته، معتزاً بحضارته متطلعا لمستقبل مشرق يقود خلاله العالم أو على الأقل يكون من الفاعلين الحاسمين في صنع قراراته أو تقرير سيرورته ومآلاته.

إننا اليوم في عالمنا العربي أمام خيارين؛ الأول يتمثل في الخضوع لفكرة الترجمة النقلية، مع الحفاظ على الألفاظ العلمية المنقولة بقلبها الأجنبي، ومصطلحاتها المتفق عليها، ونقبل بواقع تعلم العلوم باللغات الأجنبية كما هي دون محاولة نقلها كليةً للغتنا العربية، وهكذا نقصي فئة كبيرة من الناس عن ميدان التعلم، لأن مستوى إتقان اللغات الأجنبية يتفاوت بتفاوت القدرات والإمكانات، ويختلف باختلاف طرائق التدريس في السنوات التأسيسية الأولى، وحظوظ الطلبة في تلقي اللغات الأجنبية تختلف باختلاف المناطق وتمايزها بين المدن والأرياف، وذلك حتماً سيكون عائقاً عويصاً أمام مجموعة كبيرة من الطلبة الذين سيحرمون من مواصلة التعليم في الميادين التي يرغبون فيها، بحجة ضعفهم في اللغة الأجنبية وهو العامل الذي سيكون عائقاً أمام تقدّمهم حتماً، أو أماننا خيار آخر أكثر عقلانية وهو التوجه صوب التعريب الذي يضمن تعليماً مبنياً على استخدام اللغة الوطنية الأم والذي يشق طريقه صوب بناء نهج مستدام نسعى من ورائه لتحقيق قفزة علمية ووثبة حضارية تكون وفق خطة مدروسة بعيدة المدى — إذ يستحيل تحقيق ذلك في مدة قصيرة — وحتى نكون منصفين فإن الترجمة لا يمكنها أن تحل محل التعريب ولا أن تكون بديلاً عنه، لاختلاف المعايير واختلاف الأهداف "فالذين يصرون على الترجمة بديلاً عن التعريب يصرون في حقيقة الأمر على النقل وعلى التكرار وعلى التقليد، وأما الذين يدعون إلى التعريب فيصرون على سرعة الإدراك وعمق الفهم، ويدعون إلى إتقان العلم وإنتاجه والإبداع فيه، وقد أجمع علماء الأمة كلّها على أن إبداع الإنسان إنما يتأتى بلغته الأم... إننا حين ندعو إلى تعريب العلوم في الكليات والجامعات ومراكز البحث فنحن ندعو إلى أن تعيش أمتنا عصر العلم وأن تشارك في إنتاجه"¹⁰ وأن لا ترضى بدور ثانوي يكون لها من العلوم والتكنولوجيا الحظ الأخس الأوكس.

3. علاقة التعريب بتحقيق الأمن اللغوي والحفاظ على الهوية الثقافية.

لا ينكر أحد أن الحفاظ على اللغة الوطنية الجامعة هو أداة لتوحيد الصف وسبيل للحفاظ على الهوية الوطنية وإرساء لدعائم تحقيق الأمن اللغوي ومن ورائه الأمن القومي، لأنّ اللغة في مفهومها الأوسع ليست وسيلة للتواصل فحسب، بل إنها وعاء إيديولوجي ثقافي يربط بين مكونات المجتمع، فهي الصّمام الحافظ للسيادة الوطنية، ولأجل ذلك نجد كل دولة تحدّد في قوانينها اللغة الرسمية للدولة أو اللغات الرسمية المستعملة بعدها، وتفرضها لغة موحدة في التعليم والإدارة والإعلام لأن هذه الأذرع هي التي تمكن الدولة من ضبط المجتمع وتوجيهه، وترسيخ هويته من خلالها، لأنّ هذا الضبط الدقيق سينجّر عنه ضبط حمة البلاد وضمان استقرار الوضع فيها تعليمياً وتوظيفاً، وبما أنّ اللغة هي مادة دستورية تفرض نفسها بقوة القانون فإنّ الدول تبحث لاعتمادها كمادة دستورية وتفرضها بقوة القانون، وبالتالي فهي ملزمة قانونياً باحترام هذه اللغة من خلال سلامة استخدامها في الإدارات والخطابات والتعليم والعمل على ترقيةها وتعليمها ونشرها وازدهارها، ولا تتجاوزها في الخطابات الرسمية محلياً أو دولياً، بل تجعل لها الصدارة لأن في الحفاظ على اللغة الرسمية حفاظ على هوية البلد وكيانه، ولا يكون ذلك في الجانب السياسي فقط، بل حتى في الاقتصاد والرياضة والفنون وغيرها لأنّ اللغة عامل مهم في ضمان توحيد القانون والفكر والثقافة وتوحيد المجتمع من وراء ذلك.

وإذا رمنا البحث عن مفهوم الأمن نجد المعاجم تضمنت معاني متعددة له منها: الطمأنينة، والاستقرار والسلامة والأمن هو أحد مقومات الاستقرار في الحياة فبالأمن تتحقق "الطمأنينة وزوال الخوف والتهديد"¹¹، والأمن ضدّ الخوف، وبه

تتحقق التنمية ويأتي الازدهار وينتفش الاقتصاد، ولأجل هذه الخصيصة امتنّ الله على قريش بأن آمنها من الخوف فقال في محكم التنزيل {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} قريش/ 04. وقال في موضع آخر {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِلَبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} العنكبوت/ 67. وقال أيضا {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْنِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} القصص/ 57.

أما الأمن اللغوي فهو مصطلح حديث نشأ نتيجة الصراع اللغوي العالمي الذي تشهده المعمورة بسبب العولمة التي جعلت كل شيء في ميزان واحد وتركزت للمتلقى حرية الاختيار، فهو إذن مكون من شقين أحدهما هو (الأمن) ومضى شرحه والشق الثاني هو (اللغوي)، ويظهر أنه متعلق بجانب اللغة، أي كيفية الحفاظ على اللغة، ونجد لهذا المصطلح العديد من التعريفات أيضا، فهو عند صالح بلعيد: "إحاطة اللغة بسياج من الحماية الرسمية المتمثلة في القرارات الرسمية المتمثلة في القرارات السيادية الوزارية والإدارية أو غير الرسمية والتي تتضح من خلال القيام بالواجب الفردي نحو اللغة المعنوية والحسية، وذلك بوضع الأنظمة والضوابط الملزمة للأفراد والمؤسسات التي من شأنها أن تصدّ كل التهديدات والاعتداءات التي تستهدف أمن اللغة العربية وسلامتها سواء بقصد أو بغير قصد"¹² وقد ركز الباحث صالح بلعيد في تعريفه للأمن اللغوي على ضرورة مسايرة السلطة السياسية وتبنيها لمسألة الحفاظ على اللغة الوطنية باعتبار القوة التي تمتلكها السلطة، وهي الوحيدة القادرة على فرض الواقع اللغوي وتعميمه والحفاظ عليه من خلال التشريعات والقوانين والأوامر التي يدعن لها جميع المواطنين ولا يجروون على مخالفتها.

أما عند شاكر سعيد "هو عبارة عن توفير الوسائل والإمكانات المتاحة التي تحفظ للغة العربية مكانتها وتعيد إليها بريقها الذي كانت عليه في عصور تقدمها وازدهارها"¹³ وهو هنا يركز على الأمن اللغوي للغة العربية التي تتعرض لهجمات شرسة من الداخل والخارج، من أبنائها الذين يزهدون فيها، ومن غيرها الذين يمحرون بها، فكان لزاما علينا حتى نحفظ لها أمنها اللغوي أن نسعى لتطويرها من خلال عمليات التعريب والتأليف والكتابة والإبداع بها، فزكاة اللغة الإبداع والتأليف وتركها حتما سيؤدي باللغة إلى الهلاك والانقراض عاجلا أم آجلا.

إذن فالأمن اللغوي مفهوم أو آلية نسعى من خلالها إلى حماية اللغة من عوامل التضعف ومسببات الانقراض، ويعكس الحاجة إلى الحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية للشعوب، لأن الأمن اللغوي هو صنو الأمن السياسي، لا يقل عنه أهمية، فهي أحد أعمدة تحقيق الأمن العام، ويتضمن الأمن اللغوي مجموعة من الأساليب والجهود والتدابير التي يتم تخطيطها وإدارتها بشكل منظم ومدرّوس بغية تعزيز استخدامها في مختلف مجالات الحياة، مثل التعليم والإعلام والثقافة وبالتالي سيكون في ذلك ضمان استمراريته وتجدد أوصالها.

لقد لقي هذا المصطلح (الأمن اللغوي) -حديث النشأة- عناية من الدارسين خصوصا في السنوات الأخيرة بسبب تعاظم خطر الغزو اللغوي للغات بعينها، خصوصا مع استفحال ظاهرة العولمة اللغوية وما تواجهه اللغات الوطنية من هجمات شرسة تستهدف أبنائها وأصبحت تهدد انتشار اللغات الوطنية حتى في عقر ديارهم، وهذه الصرخة لا نجدها عند أبناء العربية فقط بل في شتى أقطار العالم، فنجد هجرة غير مسبقة لتعلم الإنجليزية والتقدم في تحصيل القدر الأكبر منها ولو كان ذلك على حساب تعلم اللغة الأم، وهي نفس الصيحة التي نجدها في فرنسا التي غزتها الإنجليزية في عقر دارها وزاحمتها في مستعمراتها التقليدية وراح امتدادها يتقلص شيئا فشيئا مؤذنا بقرب التحول عنها إلى الإنجليزية،

وهو الأمر ذاته نجده عند الناطقين بالإسبانية والألمانية وحتى دول شرق آسيا التي ظلت محافظة على كياناتها اللغوية أمام المد اللغوي أصبحت اليوم تشكو خطر هذا التوسع اللغوي الإنجليزي.

إنّ الحفاظ على الأمن اللغوي ينبغي أن يُبنى على ركيزتين أساسيتين تتمثلان في: "معرفة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه اللغة من جهة، ووضع الحلول الملائمة لمواجهة تلك التحديات من جهة أخرى بما يضمن بقاءها حيّة في قلوب الناطقين بها وفعلها في محيطها ومؤثرة في فضائها"¹⁴، فالأمن اللغوي يعمل على الحفاظ على اللغة الأصلية الأم التي تم توارثها وتم تناقلها من جيل إلى جيل وعدم الاستعجال في استبدالها، بل الواجب يحتم على كل فرد الاستماتة في الدفاع عن لغته لأنها كيانه وهويته شاء أو أبى، إنّ الأمن اللغوي يحتم علينا عدم الرضى بامتهان لغتنا الأم وعدم قبول امتهانها وقبول غزوها من غيرها وجعلها أجنبية في عقر دارها، بل الواجب يفرض علينا الحفاظ على مكوناتها النحوية والصرفية وجمالياتها البلاغية وطرائق أدائها وأشكال التعبير بها لأنها تراكمات قرون من النحت والتشكيل فليست مجرد أصوات دمجت وركبت للتعبير، بل هي مجموع خبرات إنسانية وتراكمات لتجارب حياتية اختزلت في مجموعة من الأصوات الأدائية التي اصطلح على تسميتها عرفاً "اللغة"

إنّ الحفاظ على الأمن اللغوي يتطلب أمرين بالغين الأهمية هما التخطيط اللغوي الجيد، وتنظيم السياسة اللغوية للأمة لصدّ مخاطر الأمن اللغوي الطارئة خاصة على اللغة العربية التي تهددها عوامل كثيرة قد تكون سبباً في الحد من انتشارها بين أبناء أقطار العروبة ومن بين أبرز مهددات اللغة العربية في البلدان العربية نذكر ما يلي:

• العولمة:

شملت العولمة جميع مناحي حياة الإنسان وتسَلّطت عليه في كلّ شيء؛ ملبسه، ومأكله، ثقافته، لغته، أفكاره... ويزداد هذا الخطر تعاظماً من خلال الثورة التكنولوجية الثالثة التي تقودها وسائط التواصل الاجتماعي، ولا يخفى عظيم تأثيرها على أيّ إنسان، فقد باتت وسيلة من وسائل صنع القرار في العالم والتأثير في منحى سيرورة الأحداث فيه، وشيئاً فشيئاً أصبحت ضرورات التواصل الخارجي تفرض على المستخدم إتقان اللغات الأجنبية للوصول إلى المحتوى العالمي والتأثير خارجياً للوصول إلى أكبر شريحة ممكنة، وتلقي أكبر كم من المحتوى التأثيري العالمي، فهذه الضرورة أصبحت تقودنا بدون شعور إلى التماس طلب تعلم اللغات الأجنبية لتحقيق تواصل مباشر، وقد نشأ عن هذا الأمر ولوج كلمات أجنبية إلى اللغة العربيّة أصبحت شائعة ولا نكاد نجد لها بديلاً يوازي اللفظ الأعجمي يستعملها الكبار والصغار على حد سواء في المشرق والمغرب في وسائل التواصل كلمات من قبيل: (like, share, subscribe, trend, comment...) وهذا مما عمّت به البلوى إذ يندر استعمال المقابل العربي رغم وجوده إلا أنه مهمل ويشيع استعمال اللفظ الأجنبي وربما جمع هذا اللفظ الأعجمي فتسمع جموعاً مكسرة هجينة جديدة تأخذ بعضها من هيئة المؤنث السالم من قبيل (اللايكات، والكوماتات، والتزندات) ولم يبق إلا أن نقيسها على أولات وأذرعات ونلحقها بجموع السلامة،¹⁵

• الجاليات الوافدة إلى الدول العربية

يكثر وفود الجاليات غير العربية واستقرارها بالدول العربية، خاصة دول الخليج وبدرجة أقل دول الشمال الإفريقي، فقد أصبحت دول الخليج العربي بعد ثورة البترول محط أنظار العالم، ومركز استقطاب دولي للعمالة، فأضحت مجتمعا ضخما لأعداد هائلة من الهنود والباكستانيين والبنغال وعموم الآسيويين والأفارقة، ولا يخفى أنّ هؤلاء تأثير عظيم في الحياة اللغوية والثقافية في أبناء البلد، ذلك أنّ جهلهم باللغة العربيّة يجعل التواصل معهم عسيرا جدا، ولغتهم الإنجليزية ركيكة جدا لا ترقى لمستوى التواصل، وربما كانت بضاعتهم في الإنجليزية منعدمة تماما، وذلك ما يفرض على المتكلم العربي خلق لغة تواصل مختلفة تماما عمّا هو عليه التركيب النحوي والصرفي للغة العربية، فترى المواطن العربي يحل ببناء الجملة العربية ويكسر تركيبها تماما من أجل إفهام الوافد الآسيوي، وقد نشأ الولدان على سماع هذه الرطانة التي لا هي بالأجنبية ولا هي بالعربية وتداولتها ألسنتهم، وقد فرضت نفسها هذه اللغة التواصلية المستحدثة بحكم الغزو الكبير لهؤلاء العمالة الوافدة الذين يقصدون بلدان الخليج ومعظمهم من شبه القارة الهندية وجاراتها باكستان وبنغلاديش، واشتغلهم في معظم المجالات ناهيك عن دخولهم البيوت واشتغلهم بالوظائف المنزلية وهي ما تجعلهم في تواصل دائم مع المواطن العربي، الذي ينزل عن لغته ويرضى بالتوجه للغة العامل خلقا لقنوات تواصل تحقق الفهم والإفهام، وقد أدى ذلك إلى دخول الكثير من المفردات الأعجمية والكلمات المهجنة المكسرة _ التي أتى بها الوافدون أو اخترعوها _ إلى اللهجات العربية المحلية، ومما سهل حدوث هذا الأمر هو انعدام شرط إتقان اللغة العربية في الوافدين، وعدم الحرص على تعليمهم اللغة العربية، حتى يحصل المستوى الأدنى من التواصل، ولو حصل ذلك لكان فيه خير عظيم يعود بالنفع على اللغة العربية ويساهم في انتشارها،

• وسائل الإعلام:

تنشر وسائل الإعلام ووسائل التواصل بشكل رهيب في كل بقاع العالم، ولم تبق ناحية أو منطقة منعزلة عن التواصل إلا فيما ندر من المناطق البدائية التي ترفض الاحتكاك بالعالم الخارجي، وقد ازداد تأثير هذه الوسائل فأصبحت عاملا فاعلا في الحياة اليومية للإنسان، وقد سبب هذا التوسع الرهيب لها تنافسا محموما _ بين وسائل الإعلام بكافة أطيافها _ لجذب أكبر عدد من المتابعين والمشاهدين والمتفاعلين، ومنطقتنا العربية لم تكن بمنأى عن ذلك أيضا، حيث انخرطت في هذه الموجة العالمية، وهذا التنافس أدى بالإعلاميين أو المسؤولين على إعداد البرامج التلفزيونية إلى إقحام أي وسيلة في سبيل الفوز بأكثر حصة من المشاهدين والمتفاعلين، وهو الأمر الذي حملهم على التحرر من قيد إعداد برامج بلغة عربية صحيحة والنزول إلى درك استعمال اللهجات المحلية المحكية، بزعم مناقشة القضايا الراهنة وما يهم الطبقات البسيطة ومخاطبتهم بما يفهمون، والوصول إلى أكبر قاعدة جماهيرية، ولو كان ذلك على حساب اللغة العربية، فالغاية عندهم هي ما تبرر الوسيلة، وقد وصل الابتذال إلى برامج الأطفال التي كانت لسنوات عديدة لا تقدّم إلا بلغة عربية صحيحة تنشئ الولدان على حبها والتعلق بها، وتدرّب ألسنتهم على اللهج بها، وكانت هذه البرامج سبيلا يسيرا لتنمية المعجم اللغوي للطفل وإمداده بجملة من التراكيب الفصيحة التي يعتادها سماعا فيحاكها قولاً في المدرسة والإنشاء، فأصابتها اليوم حمى التكسير والتغريب، فأصبحنا نشاهد برامج الأطفال باللهجات الدارجة، وأصبحنا نشاهد برامج للأطفال باللغات الأجنبية، ناهيك عن الخواء المعرفي وضعف الأهداف التعليمية والقيم التربوية فيها.

● التكنولوجيا:

لا نعدم صواباً إن قلنا إنّ أكبر مهدد يهدد أمننا اللغوي العربيّ هو التكنولوجيا المتسارعة اليوم لأننا نستورد كلّ يوم آلاف الألفاظ التقنية الحديثة التي لم نكد نجد لكثير منها مقابلات عربية يسيرة تقوم مقام اللفظ الأجنبي لأن الأعجمي منها سبق إلى ألسنة الناس فشاع، فغدا الأمر بعد ذلك صعب الإدراك والتغيير، وإن فرضنا أننا وجدنا لفظاً عربياً مقابلاً للفظ الأجنبي فإنه يعاني التهميش ويكون مصيره الإقصاء بحجة عدم الذیوع والانتشار.

خلاصة الأمر حول موضوع التعريب وعلاقته بالأمن اللغويّ يمكن اختصاره في نقطة يجمع عليها أغلب الدارسين والباحثين في الشأن اللغويّ، وهو أنّ هذه المسألة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرار السياسيّ الحاسم الذي إليه يرجع ترجيح كفة الأمن اللغويّ والحفاظ عليه، يقول صالح بلعيد ملخصاً المسألة وما فيها بهذه العبارة "إنّ القرار السياسيّ هو الفيصل في المسألة اللغوية، وعن طريقه يحصل الأمن اللغوي" ¹⁶

ولنا في ذلك العديد من الأمثلة في بلداننا العربية حول ضعف القرار السياسي وعدم إيلائه الأهمية القصوى للحفاظ على الأمن اللغوي، ولك على سبيل المثال سيرورة التعريب في الجزائر منذ سنوات الاستقلال إلى يومنا هذا، فقد ظلت الخطوات وئيدة والمسیر مترنحاً يكتنف مستقبله الغموض وذلك بسبب غياب الإرادة السياسية وغياب التخطيط المنهجي لاستراتيجيات التعريب، وهو ما فتح الباب على مصراعيه لمناوئي التعريب الواقفين ضد سيرورتهم والعابثين به.

إنّ العلاقة أكيدة ووطيدة بين تحقيق الأمن اللغوي الثقافي والسيادة الوطنية، وهو المار الذي يقودنا إلى تسليط الضوء على العلاقة التلازمية بين الثلاث (اللغة - الثقافة - السيادة) حيث إنّها علاقة اتصال لا تنعدم ولا تنفصل، بل تتماسك ويشد كل واحد منها بجزء الآخر باعتبار أن الأمن اللغوي جزء من الأمن الثقافي، وكلاهما دعامتان للسيادة الوطنية التي تمكنها من تحقيق التمتع بالحرية والاستقلال السياسيّ والأمن للدولة التي تقوم عبر مؤسسات رسمية ¹⁷

4. تعريب التعليم ودوره في حماية الأمن اللغوي والأمن الثقافي

لا يختلف اثنان على أهمية توطين التعليم باللغة الوطنية فهي جدار حماية السيادة والهوية الوطني والخصوصية الثقافية التاريخية، وضمان لحماية الناشئة من خطر الاستيلاء الثقافي، وإذا كان الأمر بهذه الأهمية فإنه حقا يمثل عاملاً من عوامل وحدة الأوطان أو سبباً رئيساً في خرابها، فإذا توفرت أسباب الأمن اللغوي توفرت تبعاً لذلك أسباب الأمن الثقافي، وإذا تمّ ذلك تمّ للأوطان أمنها القومي، ولأجل هذه المركزية المهمة فإنّ كلّ دول العالم تلجأ إلى تدريس العلوم لأبنائها باللغات الوطنية الرسمية ونستثني من ذلك الدول عديمة الاتفاق لغوي التي تلجأ إلى لغة موحدة جديدة أو تلك الدول المستعمرة التي ساهم الاستعمار في تفكيك لغتها الموحدة وشجع اللغات المحلية حتى أصبح الاتفاق بين أبناء البلد الواحد على لغة واحدة شبه مستحيل، فتضطر هذه البلدان إلى توحيد هذه اللغات أو تقليصها أو التوجه صوب تبني لغة المستعمر غالباً في التعليم والإدارة

إن تعريب التعليم في بلداننا العربية حتماً سيكون له من العوائد المهمة الشيء الكثير كونها سترجع بالفائدة على تحقيق الأمن اللغوي، الذي هو سبيل للحفاظ على الهوية الثقافية الأصيلة، وتعريب التعليم ستظهر نتائجه بصورة مباشرة في النقاط الرئيسية التالية:

- **تعزيز الهوية الثقافية:** إن استخدام اللغة العربية في ميادين العلوم إجمالاً دون اقتصارها على المواد الأدبية فقط سيعزز من حضورها على السنة جميع طبقات المثقفين والباحثين، وهو حتماً سيكونون أحرص الناس على الدقة في استعمالها، وسيكونون أضبط في استعمال المصطلحات، وبما أنهم قادة وقادة فإن ذلك سيحمل غيرهم على توقير لغتهم والعناية بها والحفاظ على سلامتهم، وذلك حتماً يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية ويجعلها أكثر وضوحاً في مجالات المعرفة.
- **تيسير التعلم وتشجيع البحث العلمي** يوفر تعريب العلوم للطلبة والباحثين أدوات تعليمية باللغة العربية، مما يسهل على الطلاب فهم المحتوى العلمي ويزيد من قدرتهم على التحصيل العلمي فالكثير من الدراسات أثبتت أن نسبة التحصيل العلمي في المواد العلمية العربية أكبر بكثير من نسب تحصيلها وهي تدرّس باللغات الأجنبية نظراً لضعف قنوات التواصل الناقلة للمعرفة، فهي حتماً لن تكون بجودة اللغة الأم.
- **تطوير المصطلحات:** إن تعريب العلوم سيساهم حتماً في إنشاء بنك من المصطلحات الجديدة تكون إضافة حقيقية لمفردات اللغة العربية، مما يعزز من قدرة اللغة على التعبير عن مفاهيم حديثة ومواكبة التطور- التكنولوجي الحديث.
- **تعزيز التواصل:** تعريب العلوم سيمكن أبناء العروبة من الباحثين والطلبة والعلماء من التواصل العلمي الفعال وهو ما يساهم في تبادل المعرفة والخبرات بشكل أكثر فعالية دون الحاجة إلى لغة علمية وسيطة.
- **مواجهة العولمة:** يوفر تعريب العلوم وسيلة لمواجهة التحديات الناتجة عن العولمة اللغوية، ويكون بذلك حصناً منيعاً يحفظ اللغة الوطنية هويتها وانتشارها بين أبنائها الناطقين بها.
- **دعم السياسات اللغوية:** يساهم التعريب في تحفيز الحكومات والمؤسسات التعليمية نحو دعم استخدام اللغة العربية في مجالات العلوم، مما يعزز الأمن اللغوي للبلاد ويضمن أمنها الثقافي.

إن ضرورة العولمة اليوم تستدعي منا أن نتجلد لمواجهة المد اللغوي الغربي إذ أننا إذا لم نحصن لغتنا ونحصن أنفسنا، فسنكون أولاً عرضة للغزو الثقافي، وستكون تبعاً لذلك لغتنا مهددة بالانقراض، وتشير دراسات وتوقعات الباحثين أنه في غضون قرن أو قرنين قادمين من الزمن ستختفي العديد من اللغات متأثرة بهذا الزحف العالمي لبعض اللغات بعينها، ولأجل ذلك تجد العديد من الدول تسعى للحفاظ على لغاتها القومية وذلك بإصدار القوانين الملزمة باستعمالها، وتدعيم حركة التأليف والترجمة ومنها وإليها، وتنظيم التخطيط اللغوي، ودعم الرؤى والسياسات اللغوية التي تحمي اللغة المحلية، فهي الرابط الذي يجمع بين مكونات الشعب وتمثل بلا خلاف الخيط الذي يصل الماضي بالحاضر، فكل لغة تمثل تاريخ أمة، نشأت مع نشوئها وعاصرت كل فتراتها، فهي تمثل ذاكرة تاريخية متنقلة عبر الأزمان، فهي بمسائرتها لفترات طويلة من تاريخ الشعوب اجتمعت واستحكمت فيها كل مكونات الهوية التي تصنع لأمة ما شخصية وسمات تميزه عن غيره.

إن الحديث عن تعريب التعليم يقودنا مباشرة إلى استلزام طريقة أجدادنا السابقين، ولنا فيهم إسوة حسنة كيف تمكنوا من تعريب التعليم والعلوم في ظرف تاريخي عصيب، فهم أيضاً كانت لهم معوقات تعوق خوضهم لغمار التعريب

لكنهم لم يلتفتوا إليها، ورأوا أن الواجب التاريخي والإنساني يحتم عليهم خدمة هذه اللغة، فكان صنيعهم عظيماً، فتمكنوا من إحداث عملية تعريبية تامة الأركان ساهمت في الارتقاء بالحضارة الإنسانية ما يزيد عن ثمانية قرون، والأمر عندنا اليوم أهون مما كان الحال عليهم في زمانهم، فكل متطلبات التعريب عندنا حاضرة، فالهياكل المادية موجودة والكفاءات على أتم الاستعداد، ولا يعوزنا إلا القرار السياسي السيادي الذي ينظر إلى فائدة التعريب من هذا المنطلق وعلى وفق هذه النظرة الحضارية.

5. خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن أن نلخص البحث بالقول أنّ التعريب كظاهرة علمية ليس وليد اليوم، بل كان لأجدادنا سبق إلى هذا الصنيع، ونحن اليوم بعد ما عانته الأقطار العربية من ويلات الاستعمار ومحاولات المناوئين النيل من اللغة العربية وجعلها غريبة في عقر دارها، وأجنبية بين ظهرائي أهلها، في محاولات لفصل العربي عن لغته وسلخه عن ثقافته نقول إن التعريب أضحي ضرورة حضارية وخياراً تاريخياً، ولن يكون للأمة العربية ذلك الزخم المعرفي والحضور الاقتصادي والحضاري إلا بتبني لغته في جميع الميادين، والحرص على سلامة استعمالها والعمل على ترفيقها ورقيتها، وإلا فكيف يعقل لأمة أن يكون لسان تواصلها مختلفاً عن لغة تعليمها، فهذا من المفارقات العجيبة، لذا أصبح من الواجب إعادة النظر وتصويب مسار التعليم عندنا من خلال فرض اللغة العربية كلغة وحيدة للتعليم لا تضارها لغة أخرى فيه، وهذا لا يعني الانغلاق تماماً عن اللغات الأجنبية وعدم تعلمها، بل نتخذ تعلمها سبيلاً للترجمة والتعريب والنقل، حتى تتمكن من الجوانب التي فاقنا فيها الغرب، وهذا لا عيب فيه، فسيرورة الحضارات تقتضي أن لكل أمة زمن تسود فيه ثم يأتي عليها حين من الدهر وتحلفها أمة أخرى في سيادة العالم، وهذه سنة الله في الكون منذ القديم.

إنّ التعريب لا يتوقف دوره على الجانب العلمي فقط، حيث إنه يتجاوز هذه الضرائر إلى ضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية واللمسة الثقافية الأصلية من خلال الحفاظ على الأمن اللغوي الذي أصبح اليوم أولوية الأولويات، لصد الهجومات الشرسة من طرف اللغات العالمية الصاعدة التي تسعى لتكون لغة تواصل وحيدة في العالم، فالإنجليزية اليوم أصبحت لها اليد الطولى في التواصل العالمي، والصينية أصبحت تزاحمها الانتشار بسبب الهيمنة الاقتصادية الصينية وتوسع بكافة الوسائل لنشر لغتها وثقافتها مدعومة بقوتها الاقتصادية، فالواقع اليوم يقول إنّ اللغة إذا لم يحافظ عليها أهلها فإنها ستكون حتما عرضة للانقراض والزوال.

من بين أهم النتائج البحثية المتوصل إليها نذكر ما يلي:

- يمثل التعريب ضرورة حضارية للحفاظ على الهوية الثقافية العربية من الانسلاخ والانصهار في بوتقة الثقافات العالمية الأخرى التي تتصارع لأجل السيادة في العالم في يومنا هذا.
- تجمع الدراسات أنّ نسبة التحصيل العلمي في ميادين العلوم الدقيقة - التي يزعم بعضهم أن تعريبها عمل غير سليم ولا يتماشى مع روح تكنولوجيا العصر - التي يتم تدريسها باللغة العربية الأم تكون أعلى بكثير من تلك المسجلة عند تعليمها باللغات الأجنبية.

- التعريب يعيد للأمة العربية شرعيتها التاريخية وحضورها كحضارة عظيمة قادت الإنسانية لما يزيد عن ثمانية قرون.

- يمثل التعريب وسيلة من وسائل الحفاظ على حماية الأمن اللغوي الذي لا يقل أهمية عن أنواع الأمن الأخرى لأنه هو جدار حماية الهوية الثقافية للإنسان العربي، كون أنّ اللغة العربية ترتبط مباشرة بالقرآن الكريم.

6. الهوامش البحثية:

- ¹ ينظر: الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1987م، ج1، ص179، (ع ر ب).
- ² أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، 1982، ج4، ص304
- ³ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص355.
- ⁴ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ص355-356.
- ⁵ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ص356.
- ⁶ أحمد طالب الإبراهيمي، الثورة الثقافية والتعريب، مجلة الأصالة الجزائرية، العدد 17، نوفمبر، 1974.
- ⁷ محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج5، ص292.
- ⁸ ينظر: قاسم عثمان نور، التعريب في الوطن العربي _ مع إشارة خاصة للسودان _ دار جامعة الخرطوم، السودان، ط1، 1988، ص18. وينظر: محيي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص87.
- ⁹ مازن المبارك، مقالات الأستاذ مازن المبارك وأبحاثه وتقديراته ودليل آثاره، دار الباب، بيروت، لبنان، ط1، 2019، المجلد2، ص260.
- ¹⁰ مازن المبارك، مقالات الأستاذ الدكتور مازن المبارك، ج2، ص316.
- ¹¹ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص64.
- ¹² صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص09.
- ¹³ سعيد محمود شاكر، الأمن اللغوي ودور جامعة نايف للعلوم الأمنية في تعزيزه، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2014، ط1، الرياض، ص59.
- ¹⁴ صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، ص10.
- ¹⁵ إشارة إلى قول ابن مالك في الألفية: وما بتا وألف قد جمعا ... يكسر في الجرّ وفي التصب معا
كذا أولات والذي اسما قد جعل ... كأذرعات فيه ذا أيضا قبل
- ¹⁶ صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، ص42.
- ¹⁷ ينظر: عبد اللاوي نجا، دور الأمن اللغوي والثقافي في تحقيق السيادة الوطنية، كتاب الامن اللغوي ولسان حضارة القرآن، مجموعة من المؤلفين، دار ركاز للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2022، ص64-65.

قائمة المصادر المراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، دت.
 2. أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1982.
 3. أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981.
 4. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1987م.
 5. سعيد محمود شاكر، الأمن اللغوي ودور جامعة نايف للعلوم الأمنية في تعزيزه، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ط1، الرياض، 2014.
 6. صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.
 7. قاسم عثمان نور، التعريب في الوطن العربي مع إشارة خاصة للسودان دار جامعة الخرطوم، ط1، السودان، 1988.
 8. مازن المبارك، مقالات الأستاذ مازن المبارك وأبحاثه وتقديراته ودليل آثاره، دار الباب، ط1، بيروت، لبنان، 2019.
 9. محيي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، دط، تونس، 1983.
 10. محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.
- المقالات:
1. أحمد طالب الإبراهيمي، الثورة الثقافية والتعريب، مجلة الأصالة الجزائرية، العدد 17، نوفمبر، 1974.
 2. عبد اللاوي نجا، دور الأمن اللغوي والثقافي في تحقيق السيادة الوطنية، كتاب الأمن اللغوي ولسان حضارة القرآن، مجموعة من المؤلفين، دار ركاز للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2022.